تفسير إبن كثير

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ

(وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أي : لو أراد الله لحال بيننا وبين عبادة هذه الأصنام ، التي هي على صور الملائكة التي هي بنات الله ، فإنه عالم بذلك وهو يقررنا عليه ، فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ :أحدها : جعلهم الله ولدا ، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا .الثاني : دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين ، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا .الثالث : عبادتهم لهم مع ذلك كله ، بلا دليل ولا برهان ، ولا إذن من الله عز وجل ، بل بمجرد الآراء والأهواء ، والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء ، والخبط في الجاهلية الجهلاء .الرابع : احتجاجهم بتقريرهم على ذلك قدرا [والحجة إنما تكون بالشرع] ، وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلا كبيرا ، فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار ، فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وينهى عن عبادة ما سواه ، قال [تعالى] ، (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض

فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) [النحل : 36] ، وقال تعالى : (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) [الزخرف : 45] .وقال في هذه الآية - بعد أن ذكر حجتهم هذه - : (ما لهم بذلك من علم) أي : بصحة ما قالوه واحتجوا به (إن هم إلا يخرصون) أي : يكذبون ويتقولون .وقال مجاهد في قوله : (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون) أي ما يعلمون قدرة االله على ذلك .